أسلوب الاعتراض في البيان النبوي أغراضه ودلالاته

The method of objection in the prophetic statement, its purposes and connotations

عاشور عبة *

تاريخ الإرسال: 2023/02/28	تاريخ القبول: 2023/03/15	تاريخ النشر: 10 /2023/05

الملخص:

تناولت في هذا البحث أسلوب الاعتراض في سياق الأحاديث النبوية وقيمته الاستعمالية، والاعتراض أسلوب تعبيري شائع استعمله العرب في كلامهم شعرا ونثرا، وقد ورد ذلك في القران الكريم بكثرة لأغراض متعددة ودلالات مقصودة.

ولكن دراسة هذا المصطلح في الأحاديث النبوية لم يلتفت إليه –حسب علمي- أحد من الدارسين، فيما وقفت عليه من بحوث ودراسات تبين أغراضه البلاغية الكثيرة ومعانيه الجليلة في الحديث النبوي.

ولما كان الرسول عليه الصلاة والسلام موافقا لطريقة العرب في خطابهم يتكلم بلسانهم ويتبع أساليبهم، نجده قد استعمل هذا الأسلوب في أحاديثه لتحقيق أغراض مقصودة كالتنزيه أو التوضيح أو التعديل أو غير ذلك من الأغراض الأخرى التي حققها الاعتراض في الكلام فأحسن وأجاد، وهذا ما حاولت بيانه وتتبع بعض مواقعه وأغراضه في عدد من الأحاديث.

الكلمات المفتاحية: الاعتراض، أسلوب، الحديث النبوي، دلالات، الأغراض.

Abstract:

This article has dealt with the method of opposition in the context of prophetic speech and its use and application. It deals with a common expression used by the Arabs in their speech, both poetic and prose. It has been frequently mentioned in the Holy Qur'an for various purposes and with intentional connotations.

* عاشور عبة abbaachour@gmail.com

However, the study of this term in the prophetic discourse has not been taken into account by any scholar, in the research and studies on which I have found its many rhetorical purposes and its great significance in the prophetic discourse.

And since the prophet agrees with the way of the Arabs in their speech, he speaks with their language and follows their methods, we find that he used this method in his speeches to achieve the intended goals such as enlightenment, clarification, modification or other goals that the opposition had achieved by speaking, and was better and more competent and this is what I tried to explain and follow some of his sites and goals in a number of hadiths

***Key words**:* opposition, style, hadith.

*** *** ***

المؤلف المرسل: عاشور عبة abbaachour@gmail.com

مقدمة:

ليس المقصود من هذه الدراسة البحث والتعمق في بلاغة النبي ﷺ وإثبات بيانه وفصاحته، أو محاولة إقناع أحد بها، فهذه الأمور قد أصبحت من المسلمات التي لا مرية فيها، كيف لا "وقد أعطى ربنا تبارك وتعالى نبيه جوامع الكلم هبة منه وفضلا، وألهمه المعاني والأفكار عطاء منه وكرما، ولهذا فقد سلم المنطق النبوي من العيوب، وحوى كل مفهومات الفصاحة والبلاغة".[1]

ويكاد يجمع جماهير العلماء وطوائف الأدباء والفصحاء -فيما نعلم- على أن البلاغة النبوية أعلى طبقات البلاغة الإنسانية، وأنها تحتل الذروة العليا من البيان العربي[2] بعد القرآن الكريم، قال **أوس بن حبيب الظبي** الأديب النحوي: "ما جاء عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ"[3]، فكان كلامه في مستوى عال من الفصاحة والبيان من دون تكلف لتحسينه ولا تقصد لتزيينه، "فلم يكن رسول الله ﷺ

بالذي يقول ليطرب ويعجب ويمتع، ولكنه يقول ليعلم ويبين ويوضح ويقيم الحجة والبرهان".[4]

وما أجمل قول **الجاحظ** في معرض حديثه عن السمات البلاغية النبوية واصفا فصاحته عليه الصلاة والسلام فقال: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر معانيه وحل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق عن ميراث الحكمة ولم يتكلم إلا بكلام قد حق بالعصمة، وشد بالتأييد وبشر بالتوفيق، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المحبة والحلاوة، بين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام...".[5]

وقال في موضع آخر "ثم لم يسمع الناس بكلام قد أعمنفعا ولا أقصد لفضا ولا أعدل وزنا ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ".[6]

وبالغ **الرافعي** في وصف بلاغة النبي ﷺ وبيان مكانته حيث قال: "وإذا أراك القرآن أنه خطاب السماء للأرض، أراك هذا –أي الحديث النبوي- أنه كلام الأرض بعد السماء" [7] فهو كلام بشر منزه عن كل نقص وعيب بلغ قمة الفصاحة والبيان.

وقال الأستاذ **عباس محمود العقاد**: ".. كان محمد ﷺ فصيح اللغة، فصيح اللسان، فصيح الأداء..."[8]

وشهادات البلغاء والأدباء كثيرة يصعب استقصائها، وفي الإشارة ما يُغني عن العبارة.

لقد تضافرت عدة عوامل ومقومات أهلته لاكتساب هذه الفصاحة والبلاغة منها: نشأته عليه الصلاة والسلام في أكبر القبائل العربية وأفصحها لسانا وأخلصها منطقا وأعذبها بيانا، ومنها تشبعه بالقرآن وبلاغته مما ولد لديه قدرة كبيرة على

الإفصاح والتبيين باعتباره مبلغا عن ربه عز وجل، فكان من توفيق الله وإلهامه ومن مقتضى الدعوة وتمام التكليف والإعانة والنصرة والتأييد أن يكون كلامه ﷺ أبلغ من كلام العرب، الذين نبغوا في الأدب وبرعوا في النحو وأوتوا حظا وافرا من الفصاحة والبيان ما يسحر الأذهان ويأخذ بالقلوب، يقول **الرافعي**: ".. فليس إلا أن يكون ما خص في النبي ﷺ من ذلك قد كان توفيقا وإلهاما من الله" حتى قال: " لا يعي بقوم إن ردوا عليه ولا يحصر إن سألوه ولا يكون في كل قبيل إلا منهم لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح وليعلم أن ذلك له خاصة من دون العرب فهو يفي بهم في هذه الخصلة البينة، كما يفي بهم خصال أخرى كثيرة.."[9]

والقوم الذين أرسل إليهم هم أئمة البيان وهم في الخصومة قوم لد لا تنقطع بهم حجة ولا يعوزهم منطق بليغ فقد نعتوا الرسول ﷺ بأوصاف عديدة ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته.

فجمع ﷺ في أحاديثه الشريفة بين أساليب العرب الفصيحة وزيادة، وليست فيها ألفاظ زائدة على المعنى لأن الزيادة اللفظية والتكلف يعد عيبا من عيوب فصاحة اللسان العربي، يتميز كلامه بحسن الإفهام وبخلوه من الكلفة والغموض والصنعة، وأيضا خلوه من الحشو والتكرار.

ولما جاء الحديث النبوي على نسق الأسلوب الدارج عند العرب في التخاطب فقد اتبع النبي ﷺ نهج العرب في كلامها وحذا حذوها في أساليبها فكان أسلوب الاعتراض واحدا من هذه الأساليب التعبيرية الشائعة في كلام العرب وشعرهم بكثرة ولأغراض متعددة.

ولكن دراسة هذه المصطلح في الأحاديث النبوية لم يلتفت إليه -حسب علمي- أحد من الدارسين فيما وقفت عليه من بحوث ودراسات بينت أغراضه ومعانيه الجليلة في الحديث النبوي.

وقد حاولت في هذا البحث الإجابة على السؤال مفاده:

هل كان أسلوب الاعتراض حاضرا في الحديث النبوي؟ وإن كان كذلك، ماهي دلالاته وأهم أغراضه؟ وهل جاء حشوا وزيادة في الكلام؟

وهذا ما أسعى إلى بيانه وتتبع مواقعه في عدد من الأحاديث المختارة التي جاء فيها أسلوب الاعتراض.

2. ماهية الاعتراض

1.2 الاعتراض لغة واصطلاحاً:

تتفق المعاجم اللغوية على أن كلمة الاعتراض تأتي بمعنى المنع، يقال: "اعترض الشيء صار عارضا كالخشبة المعترضة في النهر، يقال: اعترض الشيء دون الشيء أي حال دونه".[10]

أي صار حائلا مانعا بين شيئين متصلين ببعضهما البعض.

وقال **ابن المنظور** (ت 711') "عرض الشيء يعرض واعترض انتصب ومنع وصار عرض كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها.."[11]

ومنها حديث: "لا جلب ولا جنب ولا اعتراض "فهو أن يعترض رجل بفرسه في السباق فيدخل مع الخيل"[12]

وهذا ما ذهب إليه **الفيروز أبادي** في قاموسه حيث قال في قوله تعالى: { ولا تجعلوا لله عرضة لأيمانكم} [البقرة 224] "٦مانعا معترضا، والاعتراض المنع والأصل فيه أن الطريق إذا اعترض فيه بناء أو غير ممنع السابلة من سلوكه..."[13].

وجاء في المصباح المنير: "يقال: سرت فعرض لي في الطريق عارض من جبل ونحوه أي مانع يمنع من المضي " [14].

وقد يأتي بدلالات أخرى ابتعدت عن هذا المعنى كما أشار إلى ذلك **ابن فارس** [15].

أما عن الاعتراض في **الاصطلاح**:" هو أن يؤتى في الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لنكتة".[16]

- يقول **أبو هلال العسكري**: "الاعتراض هو اعتراض كلام في كلام لم يتم ثم يرجع إليهفيتمه.. «[17]

وسماه بعضهم "أسلوب الاعتراض " وهذا المصطلح كان الأسبق في الظهور، وبعضهم أطلق عليه " الجملة المعترضة ".

2.2 أسلوب الاعتراض عند العرب و أغراضه

وأسلوب الاعتراض واحد من أساليب العرب وفنونهم في الكلام شعرا ونثرا، فهو يسمح للمتكلم من التصرف بحرية في توزيع عناصر التركيب، قال **ابنجني** (352): "الاعتراض في شعر العرب ومنثورها كبير وحسن ودال على فصاحة المتكلم وقوة في نفسه".[18]

وذكر **ابن فارس** (ت 395) مبحث الاعتراض وعدة من أساليب العرب وفنونهم في الكلام حيث قال: "ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمامه ولا يكون هذا المعترض إلا مفيدا " 19

لأن للنص المعترض قيمة وظيفية وجمالية وتأثيرية داخل سياق الكلام، فقد يأتي هذا الأسلوب لعدة أغراض.

ويأتي هذا الأسلوب في الكلام ليؤدي أغراض بلاغية معينة تزيد من جمال التركيب، ولا يأتي عبثا وحشوا في الكلام سيما وقد ورد بشكل كبير في القرآن الكريم الذي هو منزه عن الحشو والزيادة.

لذلك حاول الكثير من علماء البلاغة والبيان حصر الفوائد والنكت التي تأتي من أجلها هذا الأسلوب معتمدين في ذلك على الشواهد القرآنية للاعتراض، فقد وجدوا فيها معاني بلاغية جديدة وزائدة عما أدركوه عند النحاة من لغة العرب شعرا ونثرا.

ولكن الذي تميل إليه النفس أن أغراض هذا الأسلوب تنبع من خلال السياق، فلا حاجة لحصرها في أغراض ونكت معينة ثم نقوم بعد ذلك بتحليل النصوص لتدخل تحت هذا الغرض أو غيره بل نبقي لكل نص خصوصية وندعه يفصح عن نفسه وعما أعطاه الاعتراض من دلالات وفوائد، كما ذهب إلى ذلك الدكتور **منير سلطان**.[20]

وقد صرح بهذا **الزركشي** قبله حيث قال: "دلالة السياق... وهي أعظم القرائن دلالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته" [21]

ومن أهم تلك الأغراض نجد:

1- **التأكيد:**

ويعبر عنه بالتقوية، وهو أهم أغراض الاعتراض 22وهو كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه﴾ [المؤمنون 117]، ففي الآية اعتراض عند قوله (لا برهان له به) بين الشرط والجواب تأكيد لنفي الألوهية عما سوى الله[23] وعلى هذا المعنى قول **عمرو بن شاس**:

أردت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا –لعمري- بالهوان فقد ظلم

فاعترض بجملة القسم –لعمري- وجيء بها للتأكيد وتقوية الارتباط بين طرفي التركيب الشرطي [24].

2- **التنزيه:**

وهو نفي النقائص وما لا يليق، ويعبر عنه بالتقديس، ويقترن بذكر اسم الجلالة غالبا كقوله تعالى: ﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ [آل عمران 191]، فقوله (سبحانك) تنزيه له من العبث والخلق بغير حكمه [25]

3- **الدعاء:**

ومثله قوله تعالى: ﴿ومن الأعراب من يتخذ ما يتفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم﴾ [التوبة 98]، فقوله (عليهم دائرة السوء) معترض يفيد الدعاء على الأعراب المتربصين الدوائر بالمؤمنين [26]

ومنه قول الشاعر:

إن الثمانين –وبلغنها- قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

فقوله (بلغنها) دعاء للمخاطب أن يمتد عمره حتى يصل إلى الثمانين.

4- **التعظيم:**

أي تعظيم المعترض فيه لاسيما إذا كان قسما فإن الاعتراض حينئذ يفيد تعظيم المقسم به كقوله تعالى: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم ولو تعلمون عظيم﴾ [الواقعة 75-80]. فقوله (لو تعلمون) اعتراض الغرض منه تعظيم القسم بمواقع النجوم وتفخيم أمره، وفي ذلك تعظيم للمقسم عليه وتنويه برفعة شأنه .[27]

5- **التبرك:**

كقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾ [الفتح 37] أي لتدخلن المسجد الحرام بإرادة الله وحوله واعتمادا على مشيئته .[28]

6- **التوضيح:**

ويطلق عليه التفسير، ومثاله قوله تعالى في شأن إبليس حين أمره ربه بالسجود مع الملائكة لآدم فقال: ﴿إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ [الكهف 50]، فالكلام المعترض (كان من الجن) تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم.[29]

7- **التخصيص:**

ومثال ذلك قوله عز وجل: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا علىوهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالدي إليك المصير﴾ [لقمان 14]، فاعترض بقوله: (حملته أمه وهنا على وهن وفضلناه على العالمين)أفاد تخصيص الأم بذكر ما تكابده وهي أحد الوالدين الموصى بهما.[30]

هذه بعض أغراض أسلوب الاعتراض البلاغية وأشهرها، ولا شك أن هناك أغراضا أخرى تفهم من خلال السياق كالسخرية والتهكم والوعد والوعيد والتسلية والترغيب وغيرها، فلا حاجة إذن لحصر فوائده.

3. الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الاعتراض من خلال الأحاديث النبوية:

1- التنزيه:

وهو مأخوذ من التنزه أي البعد، وهو تسبيح الله عز وجل وإبعاده عن كل نقص وعيب وعما يقوله المشركون.

وقد أكثر منه النبي ﷺ تأدبا مع ربه من أن ينسب له نقصا أو عيبا وحتى يعلمنا ذلك، ومن تلك الأحاديث:

– ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات قال: "إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، ولكن يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.[31]

فجاء الاعتراض بصيغة النفي (ولا ينبغي له أن ينام) أي ولا يليق به سبحانه أن ينام، لأن النوم صفة نقص ويستحيل على الله عز وجل أن يكون به نقص.

قال **النووي**: "أما قوله عليه الصلاة والسلام (ولا ينبغي له أن ينام) فمعناه أن النوم الغمار والغلبة على العقل يسقط به الإحساس والله تعالى منزه عن ذلك وهو مستحيل في حقه جل وعلا".[32]

قال **الطيبي**: "أن قوله (لا ينام) جملة معترضة واردة على التتميم صونا للكلام عن المكروه".[33]

– مارواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الرب عز وجل سيعلم أهل الجمع اليوم من أهل الكرم.. الحديث" [34]

فجاءت جملة (عز وجل) اعتراضا لتعزيز الله وتنزيهه عن أي شيء وتعظيمه.

2- البيان والتوضيح:

وهو من أكثر الأغراض ورودا في الأحاديث النبوية، ويأتي لبيان أو تفسير كلامه قبله وإيضاحه دفعا لتوهم غيره، ومن أمثلته:

– ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن ﷺ قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها القرآن فهي خداج –ثلاثا- غير تمام."[35]

فقد جاءت لفظة (ثلاثا) معترضة أفادت التوضيح وبيان حكم من لم يقرأ بفاتحة الكتاب فجعل صلاته غير تامة، وقد أعادها الرسول ﷺ ثلاث مرات.

– عن أنس بن مالك عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "ما أحد يدخل الجنة يجب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة" [36].

فقوله عليه الصلاة والسلام (وله ما على الأرض من شيء) كلام معترض، وهي جملة وردت للإيضاح وتأكيد على أنه لا يوجد أحد دخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا حتى ولو ملك جميع الدنيا. [37]

– عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله.. فأطال في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات.. ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كانت حسناته له.." الحديث[38]

جاءت جملة الاعتراض عند قوله (ولم يرد أن يسقيها) لينبه المخاطب على أن يحصل له حسنات من غير أن يقصد سقيها، فإذا قصدها فأولى بمضاعفة الحسنات فقام الاعتراض هنا بدور الإيضاح والتنبيه بدقة بالغة.[39]

وليبين أن الحسنات تكتب للمؤمن إن كان له فيها سبب وأصل تفضلا من الله على عباده المؤمنين.

3- التبرك:

وهو طلب الخير والبركة من الله عز وجل، وقد جاء هذا الغرض في عدد من الأحاديث منها:

– ما ورواه ابن عمر عن النبي ﷺ كان إذا قفل كبر ثلاثا قال:" آيبون إن شاء الله تائبون عابدون حامدون لربنا ساجدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده." [40]"

فالاعتراض في قوله ﷺ (إن شاء الله) وفيها تعليق الحصول الرجوع والتوبة والعبادة والحمد والسجود بالمشيئة تأدبا مع المولى عز وجل في رد الأمر إليه في طلب حصول الخير، وهذه المشيئة وإن ظهر وجودها عرضيا في الخطاب النبوي الشريف إلا أنها أبانت عن فوائد وأغراض جليلة منها، بالإضافة إلى التبرك باسم الله عز وجل وتعظيمه والتواضع له ورد كل نعمة إليه وتعليق كل شيء بمشيئته وإرادته سبحانه. [41]

– ما جاء في قوله ﷺ حين أراد قدم مكة: "منزلنا غدا إن شاء الله تعالى بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر".[42]

فالكلام المعترض (إن شاء الله تعالى) كلام معترض ذكره للتبرك والامتثال لقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾.[43]

4- الدعاء:

وهذا الغرض يكثر في الأحاديث النبوية بصيغ منها الترضي أو الترحم أو الصلاة والسلام وغير ذلك وهذا كثير في كلام العرب

– ومنه ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ ومع النبي ﷺ صفية مردفها على راحلته فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة فصرع النبي ﷺ والمرأة وإن أبا طلحة قال: أحسب قال أقتحم عن بعيره فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله –جعلني الله فداك- هل أصابك من شيء، قال: "لا ولكن عليك بالمرأة.."[44].

ففي هذا الحديث اعتراضان غرضهما الدعاء:

الأول في قوله ومع النبي (صلى الله عليه وسلم) و (رضي الله عنه) وهي صيغ تكثر في الصيغ الحديثة، واعتادت العرب قولها وجاءت في كلامها وهي جملة خبرية لفظا انشائية معنى لأنه ليس المراد أنني أخبر بأن الله صلى ولكنني أدعو الله عز وجل أن يصلي عليه، فهي بمعنى الدعاء والدعاء إنشاء (وسلم) أي أدعوا الله تعالى بأن يسلم على محمد –صلى الله عليه وسلم- من النقائص والآفات.[45]

أما الاعتراض الثاني في قوله (جعلني الله فداك) وكثرا ما تأتي في خطاب الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ حتى صارت لازمة قولية في حديثهم إليه صلى الله عليه وسلم، وهي تأتي في مواضع عديدة بأغراض مختلفة منه الدعاء ومنها إظهار الأدب مع الرسول ﷺ وإظهار المحبة له حتى أنهم يقدمونه أنفسهم وأهليهم في دفع المكاره عنه ﷺ.[46]

– عن زيدا بن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمي فكان مما نصحه: ".. يا أمير المؤمنين أفتاركهم أنا لا أبالك فالماء والكلاء أسير من الذهب والورق.." [47].

فالاعتراض الأول في قوله (رضي الله عنه) وهي عبارة تعقب أسماء الصحابة غالبا والمكانة الدينية، والمقصود بها الطلب من الله أن يرضى عنهم ويصفح ويقبل ثوابهم.

ووقع الاعتراض الثاني في قوله (لا أبالك) فهي جملة دعاء وإن كان ظاهرها دعاء على مولاه إلا أنها دعاء على مجازه لا حقيقته، وإنما قاله رضي الله عنه مبالغة في التحذير وبيان خطره وعواقبه الوخيمة وعلى مقدار إفساد الفعل الذي يحذر منه.

5- التقوية والتوكيد:

قد يرد الاعتراض في الكلام النبوي من أجل تقوية الحكم وتأكيده ومن أمثلته:

– قول عائشة رضي الله عنها: أصيب سعد يوم الخندق في الأكحل فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد ليعوده من قريب فلم يرعهم وفي المسجد خيمة من بني غمار إلا الدم يسيل إليهم فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الذي يأتينا من قبلكم فإذا سعد بعد إذ مات فيها.[48] فالفصل بين أجزاء الكلام ظاهر في قوله (وفي المسجد خيمة من بني غفار) وهي جملة معترضة [49] الغاية منها تقوية الحكم لجواز السكن في المسجد لعذر [50]

– ومثله ما جاء عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: قلت لعلي رضي الله عنه هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله، قال: " لا والذي خلق الجنة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة" . [51]

فالاعتراض في قوله: ﴿والذي خلق الجنة وبرأ النسمة﴾ وهو قسم جيء به ليؤكد أنه رضي الله عنه لم يخص بشيء من الوحي غير القرآن، وذلك أن فرقة الشيعة ادعوا أن عليا وآل البيت قد خصوا بكتاب غير القرآن وهو غير ظاهر للناس، لذا أتى بالقسم وهو من أيمانالعرب واستعان بالقسم لما له من تجديد لنشاط السامع، فهو أشد تنبها وأكثر إيقاظا. [52]

6- التنبيه:

ورد أسلوب الاعتراض في الأحاديث النبوية لغرض التنبيه ومن تلك الأحاديث نجد:

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر أو العصر فقال له ذو اليدين: " الصلاة يا رسول الله أنقصت..." الحديث[53].

فالاعتراض واقع بين قوله (الصلاة) و(أنقصت) وهو نداء "يا رسول الله" والمقصود به التنبيه والتأدب مع النبي ﷺ في الخطاب حتى لا يقع منه موقع الأمر.

– وعنه أيضا رضي الله عنه قال: جاء رسول الله ﷺ فقال: دلني على عمل بعدل الجهاد، قال: لا أجده قال: " هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر، قال: ومن يستطيع ذلك؟ قال: أبو هريرة إن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له حسنات ".[54]

فقوله (إذا خرج مجاهد) اعتراض وقع بين قوله (يستطيع) وقوله (أن تدخل) من أجل التنبيه على عظمة الجهاد وفضله لما فيه من ثقل على النفوس وفيه أيضا حث وتحفيز عليه وأن لا شيء يعادله ولو كان وصل الصلاة مع الصلاة والصيام مع الصيام.[55]

7- التخصيص:

– حديث أنس ابن مالك عن النبي ﷺ قال:" ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى".[56]

فالاعتراض هنا حاصل في قوله (له عند الله خير) وتقديره أنه لا يوجد عبد دخل الجنة وتنعم نعيمها يفرحه أن يعود إلى الدنيا حتى لو كان ذلك مقابل أن تحاز له الدنيا وما فيها فلن يرضى الرجوع باستثناء الشهيد لفضل الشهادة عند الله، فالاعتراض هنا جاء لتخصيص الحالة التي ستذكر، وإن الخير الذي عند الله لا يوازيه ويساميه خير آخر.[57]

– قوله ﷺ: " إنا – معاشر الأنبياء- لا نورث "[58]

ففيه الاعتراض بأن تخصيص الأنبياء بالذكر في الخبر ليس من أجل اختصاص الحكم بهم بل هو حكم عام وإنما ذكر الأنبياء هنا للتعبير عن أولوية الأنبياء بالعمل به.

8- التعديل:

ويكون له –أي اعتراض- دور في تعديل المعلومة المرادة وصرفها إلى الحقيقة المقصودة منها، ومن مواطنه في الحديث النبوي:

– قوله ﷺ: "ما من رجل يموت حتى يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من كبر تحل له الجنة"[59].

فالاعتراض جاء في قوله (حين يموت) ومقصود هذا الاعتراض أنه تأكيد للمراد الحقيقي، وارتبط بتعديل الفهم عند المتلقي بوجود هذا الاعتراض وأن القصد الذي قصده النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث إنما هو الإصرار على الكبر حتى الموت وهذا لا يؤمّنه إلا الاعتراض المذكور معه (حين يموت).

– عن أبي هريرة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ القضاة ثلاثة: " قاضيان في النار وقاض في الجنة، قاض قضى بغير حق وهو يعلم فذاك في النار، وقاض قضى وهو لا يعلم فأهلك حقوق الناس فذاك في النار، وقاض قضى بالحق فذاك في الجنة." [60]

فالاعتراض في قوله (وهو يعلم)، (وهو لا يعلم)، وفيها يؤكد النبي ﷺ على أن الإثم متعلق بالعلم وهذا إخراج للمخطئ وغير القاصد، فالإثم جعله عليه الصلاة والسلام على القاضي الذي يقضي بغير حق وهو يعلم أو القاضي الذي يقضي بين الناس بغير علم فيضيع حقوق الناس، فساوى هذا الاعتراض في قوله ﷺ (وهو لا يعلم) بين حال القاضيين الذي يقضي بغير حق وهو يعلم، وذلك الذي يقضي وهو لا يعلم وهذا تعديل منهم في فهم المتلقي الذي يظن أن عدم علم القاضي شفيع له، بِكون القاضي لم يكن قاصدا اهلاك حقوق الناس فأوضح النبي ﷺ أنه قضى (وهو لا يعلم) فكأنه كان قاصدا إلى ذلك لأنه يؤدي إليه لا محالة .[61]

4.خاتمة:

من خلال ما تم استعراضه تبين لنا أن أسلوب الاعتراض أسلوب كلامي شائع عند العرب في شعرهم ونثرهم، وعدوه من بلاغة المتكلم، وأنه يشير إلى يقظته وفطنته حيث يعترض بكلام يبين الكلام المقصود حتى يوجه النص ويعد له ويوضحه ويدفع ما يمكن توهمه، وتعرض له النحاة والبلاغيون في مباحثهم

ويأتي هذا الأسلوب ليحقق أغراضا منها: التأكيد، التنزيه، التخصيص، الإيضاح...

اعتمد الرسول ﷺ على هذا الأسلوب في مواطن مختلفة ليحقق أغراضا تفهم من خلال السياق، لعل أكثرها أنه جاء للتنزيه والدعاء والتعديل والإيضاح والتخصيص وغيرها

ساهمت هذه الاعتراضات النبوية في إضفاء ملمح بياني رفيع وإظهار حسن بلاغته ﷺ وقوة تعبيره وتأثيره على المتلقي وتوجيه مسار معنى الكلام ودفع ما يعمل على فساده وما اختل من معانيه، لذلك لا يمكن القول إن الاعتراض في الأحاديث النبوية أنه حشو وزيادة في الكلام لا فائدة فيه.

*** *** ***

5. الهوامش

[1] **إبراهيم الجعلي، أضواء على البلاغة النبوية، ط1، مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، 1425-2004، ص20.**

[2] **أحمد أمين، فجر الإسلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1962، ص223.**

[3] **البيان والتبيين، الجاحظ 17/2.**

[4] **د. محمد رجب بيومي، البيان النبوي، ص345.**

[5] **الجاحظ، البيان والتبيين، ط1، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، لبنان، 1968، ص221.**

[6] **نفس المرجع، 17،18/2.**

[7] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط9، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، 1973، ص328.

[8] العقاد، عبقرية محمد، تحقيق دار الكتاب العربي، ط1969، ص291.

[9] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط1، مكتبة الإيمان، القاهرة، 1997، ص236.

[10] محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة عرض المطبعة الأميرية، القتل، 1992.

[11] ابن منظور، لسان العرب، ج10، ط1، دار صادر، بيروت-لبنان، 2011، مادة عرض، ص100.

[12] المرجع نفسه، 100/10.

[13] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط8، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 2005، مادة عرض، ص646.

[14] أحمد محمد علي الفيومي، المصباح المنير، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، ص402.

[15] ابن فارس، مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، ج9، ط2، مؤسسة الرسالة بيروت، 1986، ص659.

[16] القزويني، الايضاح في علوم البلاغة، ص 239.

[17] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، تج محمد علي البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1986، دط، ص394.

[18] ابن جني، الخصائص، تحقيق علي النجار، ط2، دار الهدى للنشر والطباعة، بيروت، ص331.

[19] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، نشر مكتبة المعارف، بيروت، 1414، ص245.

[20] منير سلطان، بلاغة الكلمة والجملة والجمل، ط2، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1993، ص238.

الزركشي البرهان في علوم القرآن 200/2.

[21] ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، حققه وعلق عليه د. مازن المبارك ومحمد علي حمد لله وراجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، 1979، ص506.

[22] الزمخشري، الكشاف، ج4، ط2، تحقيق وتعليق محمد مرسي عامر، دار المصحف، القاهرة، 1977، ص112.

[23] سامي عطا حسين، الجملة المعترضة في القرآن مواضعها ودلالاتها، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في الجامعية الأردنية، 1993، ص45.

[24] الزمخشري، 221/1.

[25] الزمخشري 210/2.

[26] فضل حسين عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط1، دار الفرقان، ص 503-504.

[27] السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ص 371.

[28] الزمخشري، الكشاف 201/3.

[29] الزمخشري، الكشاف 19/5.

[30] مسلم بن الحجاج، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998، ص179.

[31] النووي أبو زكريا يحي بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج1، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392، ص16.

[32] الطيبي، مشكاة المصابيح شرح مرقاة المفاتيح 33/1.

[33] الألباني، السلسلة الضعيفة 35/13.

[34] مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حديث رقم 395.

[35] البخاري، صحيح البخاري، تح أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، ص523.

[36] ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر وأبو إبراهيم الصبيحي مكتبة الرشد، الرياض، ص15.

[37] البخاري، صحيح البخاري، تح أجمد جاد، دار البصائر، الجزائر، ص530.

[38] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة الوادي، 2015، ص85.

[39] البخاري، صحيح البخاري، تح أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، ص569.

[40] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري، دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة ماستر، ص 72.

[41] البخاري، صحيحالبخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، ج5 ط1, دار طوق الحمامة، 1442،ص 51.

[42] بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، ج 9، تحقيق عبد الله محمود محمد، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2009، ص327.

[43] البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن الناصر، ج5، ط1، دار طوق الحمامة، 1422،ص 570.

[44] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري، دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة ماستر، ص65.

[45] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري، دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة ماستر، ص 69.

47 البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن الناصر، ج5، ط1، دار طوق الحمامة، 1422، ص665.

[49] البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن الناصر، ج5، ط1، دار طوق الحمامة، 1422، ص463.

[50] بدر الدين العيني، عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، تر وتحقيق عبد الله محمود محمد، 2، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 2009، ص 352.

[51] ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف، شرح صحيح البخاري، تحقيق أبو تميم ياسر وأبو إبراهيم الصبيحي، ج2، مكتبة الرشد، الرياض، ص 111

[52] البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن الناصر، ج5، ط1، دار طوق الحمامة، 1422، ص563.

[53] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري، دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة ماستر، ص77-78.

[54] البخاري، الصحيح، تحقيق محمد زهير بن الناصر، ج5، ط1، دار طوق الحمامة، 1422، ص1228.

[55] البخاري، صحيح البخاري، تح أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، دط، ص517.

[56] محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ، ج2، المطبعة الخيرية، دط، 1410، ص286.

[57] البخاري، صحيح البخاري، تح أحمد جاد، دار البصائر، الجزائر، دط، دت، ص519.

[58] سعاد بن ناصر، الجملة المعترضة في صحيح البخاري، دراسة تركيبية أسلوبية، مذكرة ماستر، ص 67.

مسلم بن الحجاج، صحيحمسلم، حديث رقم 1757.

[59] أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001، حديث 369-17

[60] الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، دار الصميعي، الرياض، 1994، حديث رقم 1145.

[61] إهاب سعيد شفطر، الاعتراض في الخطاب النبوي مقاربة وظيفية، مجلة بحوث، كلية الآداب، جامعة.